



لا إله إلا الله

الله
رسول
محمد

من

سيرة علي بن أبي طالب

٤٠

أبو أنس الجنبلي

تقبله الله

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو أنس الجنوبي، من جبال تهامة حساً ومعنى، ذاك
هو الأسمر النّحيل، صاحبُ الابتسامة العريضة، حمل
على ظهره همّ أمّته، وبادر بترك الديار، فاكتوى بنار
الفراق، ووحشة الغربة، لكنه وكما كنتُ أراه، نعم
الأنيس والجليس، يطيل القيام ويدوام على القرآن..

ترى الرجل النّحيل فتزدرية وفي أثوابه أسدٌ هصُورٌ

خرج من بيت أهله وحيداً، عاقدَ العزم على الهجرة، وكله ثقةً بالله أنه
سيسهل له طريقه ويوصله إلى مُرادِه..

وصل إلى العراق، والتحق لفترة من الزمن بمعسكر "راوة"، ثم انتقل
إلى أطراف بغداد، وهناك أشرقت شمسُه، ومع مرور الأيام وسبرِه لأغوار
المنطقة وطبيعة أهلها، بدأ بالتألق في العمل، ودخل عدّة دوراتٍ
عسكريّة فتخرّج منها بنجاح، وشارك في عدّة معارك، منها اقتحامُ سجن
"أبي غريب"، وغيرها كثير.

كُلف بقيادة مجموعة من الشباب، فركّز اهتمامه على زرع العبوات،

وكان يقول دائماً: (كُن كريماً على عدوك، فإن نويت زرعَ عبوةٍ تكلفك خمسة وعشرين "دولاراً" تؤدِّي لإعطاب أليته، فاجعلها بمئة "دولار" ومزّقها بمن فيها).

وبالفعل، فقد كانت عبواته ومجموعته تُبِيد الصّليبيين، وقد شاهد العالمُ إحدى عبواته، والنّار تستعر في جنود الصّليبيين..



كانَ رحمه الله يحبّ المخاطرة والجَراة، فحينَ يطوّق الصّليبيون إحدى المناطق القريبةِ منه، ويبدؤون بتمشيّطها، يتسلّل مع بعض رفاقه زحفاً إليهم، ويزرعون لهم في الأماكن التي يدّعون أنهم طهّروها من المجاهدين، فيأتي هذا الأبّيّ ويعطيهم درساً تطبيقياً في التطهير ..

وفي إحدى العليمات، تمركزت سيطرةٌ لمرتدّي الحرس الوثنيّ على طريق بغداد السّريع، وكان هناك طريقٌ خصّصه الصّليبيون لعبورهم ومنعوا النّاس منه، فقرّر صاحبنا أن يضرب بعضهم ببعض، فخرجوا لهم ليلاً، وتسلّل أحد رفاقه وهو يجرُّ بيده عبوةً كبيرة جداً، ووصل إلى المكان دون أن يشعر به المرتدّون، ثم قام وزرعها في هذا الطّريق،

وحين أتى الصّليبيون ليعبروا بكلّ طمأنينة وأمان، لعلمهم بإخلاص عبيدهم في السّهر على حمايتهم، وبعد أن مرّت الآليّة الأولى كانت الصّارخة من نصيب التي تليها، فأحالتها إلى قطع صغيرة من الحديد، أما اللحم فلا تسأل عنه..

عندها قام الصّليبيون بتوجيه كلّ ما لديهم من قوّة ناريّة في آلياتهم إلى العبيد السّمر، الذين لم يسلموا ابتداءً من شظايا العبوة، فأحرقوا موقعهم بمن فيه من كثافة النيران، كلّ هذه المشاهد، والأسود رابضة تنظر لحالهم وخسرانهم..

لقد كان - رحمه الله - غليظاً عزيزاً على أعداء الله، ليناً ذليلاً على أوليائه، وقد رأيت وإخواني من طول العشرة أنّ من اتّصف بهذه الصّفة فإنّ الله يفتح على يديه، ويبارك عمله، ويشرح صدره، ويُعلي شأنه.

مرّت الأيام عليه يُجالد فيها أعداء الله، يقضي أيامه ولياليه بين رباط وعبادة..

وذات يوم وفي أثناء رباطه على أحد الدّوريات الصّليبية، وكان قد اتخذ واحد رفاقه من غرفة طينية صغيرة مخبأً له، كانت مروحيات الصّليبيين تحوم فوقه، لكنّها لم تُشغل باله، فطائراتهم في الغالب تخرج مع كلّ دوريّة لحماية آلياتهم على الأرض من الكمائن، وخشية قيام المجاهدين بزرع العبوات لهم، فيقول عن هذه الحادثة:

(شعرتُ بأنَّ المروحية تقترب كثيراً من الأرض، وأنا في هذه الحالة مركزٌ عينيَّ على الشارع الذي أمامي وفي يدي جهاز التفجير، ولم أشعر إلا والصليبيون يقتحمون الغرفة، ونزلت المروحية على الأرض، وكل هذا في لحظات، والسبب في عدم شعوري بتقدمهم، هو أنَّ الغرفة كانت لمضخة ماء كبيرة مشغلة، وكان صوتها مرتفعاً جداً فاختلط الأمر على حواسي ..).

بعدها.. أصبح ذكرُ صاحبنا عند الإخوة: (كان أبو أنس فكّ الله أسره..!)، نعم.. لقد أسِرَ البطلُ وأحدُ رفاقه، ولم يتمكنوا من المقاومة، لأنشغال الذهن بمتابعة الطريق..

أخذه الصليبيون أسيراً وأودع السّجن، لكن وبلطفٍ من الله لم يتعرّفوا على حقيقة شخصيته، وأحيلت قضيّته إلى المحكمة، فأقرّ رفيقه - ابن دعوته بمصطلح المعتقلات - أمام القاضي المجرم أنه هو المسؤول عن زرع العبوة، وهو الذي كان لابساً الجعبة ويده جهاز التفجير، وأنّ هذا الشخص - يعني أبا أنس - ليس له أي علاقة بالموضوع..!

وهذا الفداء الباهر ليس غريباً على الأنصار، فقد سطرّت السّجون صوراً عجيبة لمثل هذا الإيثار، وكم من أنصاريّ ألقى بالتّهم الثّقال على كاهله، لأنّه يرى في خروج أخيه المهاجر من الأسر مصلحةً للجهاد أعظمَ من خروجه هو، وليختار البقاء في قيود السّجن مهما طال الأمد، وعظمت التّهمة، ولتثبت الأيام أنّ بُنياناً كانت لبناته كهؤلاء الرّجال، ما

كان له أن يتصدّع..

نعود ... مكث صاحبنا في السّجن قُرابة السّنتين، ثمّ كتب الله له الفرج، وعاد إلى ميدانه يزأر فيه، ويثأر لإخوانه، فكانت هناك قاعدة صليبيّة في منطقته التي يعمل فيها، أخذ على نفسه وإخوانه عهداً بأن يحرموهم من الدّخول إليها أو الخروج منها سيراً على الأرض، وبالفعل أوفوا بعهدهم، وقطعوا عليهم طريقهم، فأصبحوا يتنقلون بالطّائرات، حتى أحاطوا هذه القاعدة بعدّة مقرّات، ظناً منهم أنها ستخفف الضّغط وتُبعد الأبطال عنهم، وهم في واقع الأمر زادوا من الأهداف، فكسر رحمه الله ظهرهم، ومرّغ أنفهم..



الله يعلم ماقلب سيرتهم ... يوماً وأخطأ دمع العين مجراه

وبعد هذا العطاء الجليل من هذا الشاب النّحيل، وفي اشتباك مع الصّليبيين والمرتدين، حطّ الحبيب رحاله، وودّع أقرانه، وصعدت روحه الطّاهرة الزّكية إلى بارئها..

ولا تبكينَ إلا ليثَ غابِ شُجاعاً في الحروبِ الثائِراتِ
دعوني في الحروبِ أُمّتَ شهيداً فموتَ العزِّ خيرٌ من حياتي

اللهم أسكنه الفردوس الأعلى من الجنة، واجعله شفيعاً لوالديه،
 واجمعنا به يا ربّ العالمين.

وصلّى الله على نبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليماً كثيراً،
والحمد لله رب العالمين...

وكتبه

عبد الأعلى المضريّ